عيون مسائل السلوك

مسألة

ما هو المنهج الصحيح لطلب علم السلوك؟



نسخة مكبّرة للقراءة في أجهزة الجوال



السؤال: ما هو المنهج الصحيح لطلب علم السلوك؟

الجواب:

علم السلوك يُطلب من جانبين:

- جانب علمي معرفي
- وجانب سلوكي تطبيقي.

أولاً: الجانب العلمي المعرفي

أما الجانب العلمي المعرفي فيكون بدراسة كتب متدرّجة في هذا العلم الشريف، حتى يحصّل الطالب ما كتب له من المرتبة في هذا العلم.

والكلام في اختيار بعض الكتب على بعض يدخله الاجتهاد واختلاف النظر، ولا أعلم كتاباً في علم السلوك شاملاً لأبوابه ومباحثه كما هو في عامة العلوم.

وهذا أمرٌ تدعو حاجة طلاب العلم إلى التأليف فيه لتقريب أبوابه ومهمات مسائله في مختصر شاملٍ تسهل دراسته، ويستفيد به طالب العلم الإلمام بعامة أبواب علم السلوك، والوقوف على أهم المسائل في كلّ باب.

ثم يدرس بعده كتاباً مفصلاً يكون فيه تحرير لمسائل هذا العلم الشريف، وجمع لأقوال أهل العلم ومذاهبهم في تلك المسائل، وتفهم أسباب



الاختلاف فيها، وتعرّف الموقف الصحيح من اختلافهم.

وكنتُ قد شرعتُ منذ بضع عشرة سنة في ثلاثة أعمال في هذا الباب ولما أتمّها بعد، وإنما أذكرها هنا للتعريف بها فإن يسّر الله إتمامها فله الحمد والمنة والفضل، وإن عرض دون ذلك عوارض وعوائق فأرجو أن تتضح مقاصد هذه الأعمال، وينشط المتأهّل لذلك من أهل العلم والفضل لإتمامها والبناء عليها.

العمل الأول: كتاب «معالم السلوك» وهو على قسمين:

- قسم فيه التعريف بهذا العلم الشريف، وبيان فضله، ومراتب أئمته، وأهمّ كتبه التي يُرجع إليها في تحرير مسائله وتعرف أقوال العلماء فيها، وبيان أصول علم السلوك.

- وقسم فيه تقريب أبواب علم السلوك، وذكر لأهم المسائل في كلّ باب؛ بأسلوب مختصر ميسّر.

وقد أخرجت كثيراً مما يتعلق بالقسم الأول في مبحث بعنوان «مقدمات في علم السلوك» ضمنته في كتاب «أعمال القلوب»، وقد نُشر مفرداً.

العمل الثاني: «عدّة السالك»، وفيه دراسة لمسائل علم السلوك مصنفة على الأبواب والفصول، وفيه عناية بجمع آثار السلف وأقوال أهل العلم في تلك المسائل ومناقشة لحججهم، وجمع وتقريب لما يتعلق بتلك المسائل



من الفوائد واللطائف، والقصص والأخبار والوصايا.

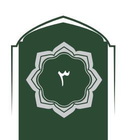
وأرجو أن يكون جامعاً لفروع هذا العلم الشريف، وافياً بحاجة طلاب هذا العلم.

العمل الثالث: «جمهرة علوم السلوك»، وهو أوسع هذه الأعمال، وفيه جمع لكثير من كتب السلوك، وتصنيف لها على الأبواب والفصول والمسائل، وترتيب لأقوال العلماء في تلك المسائل بنصوصها على ترتيب وفياتهم، ويتضمن دليلاً كاشفاً لمسائل هذا العلم؛ يفضي إلى الاطلاع على أقوال العلماء في كل مسألة من مصادرها، وهو جزء من أعمال جمهرة العلوم، وقد قطعنا فيه شوطاً لا بأس به على ضعف وتقطّع في العمل.

وسأضيف بعون الله تعالى وحسن توفيقه إلى هذه الأعمال عملاً رابعاً وهو «عيون مسائل السلوك»، وفيه تحرير لمهمات مسائل السلوك، يستفيد بها طالب العلم اللبيب فهم كثير من نظائرها، وتتبين له أصول بحث مسائل هذا العلم ويتعرّف معالمه، وهو العمل الذي بدئ فيه بجواب هذا السؤال.

وهذه الأعمال أرجو - إن تقبّلها الله وبارك فيها - أن تكون وافية بحاجة كثير من طلاب العلم الراغبين في دراسة هذا العلم الشريف.

لكن لا ينبغي لطالب العلم أن يجعل من الانتظار ذريعة للتأخر؛ وليبادر بدراسة ما هو متاح؛ فإذا يسّر الله إخراج هذه الأعمال، وأعان عليها بفضله



وكرمه كانت معينة له على المذاكرة والضبط.

وطالب العلم إذا أحسن تنظيم قراءة كتب السلوك وأحسن تأصيل دراسة مسائلها على عالمٍ أو طالب علم متمكّن انتفع انتفاعاً كبيراً بإذن الله.

وسأقسّم دراسة علم السلوك إلى مقاصد، وفي كلّ مقصد جملة من الكتب أرجو أن تفي بحاجة طالب العلم فيه، حتى يجتهد طالب العلم في دراستها وتلخيصها، وقد يستزيد كتباً في بعض المقاصد أو يستبدل كتاباً بكتاب مقارب له، لكن يبقى الأهمّ هو ضبط ما يتطلبه كلّ مقصد من المسائل بأدلّتها وأقوال العلماء فيها.

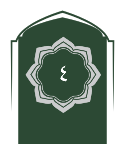
المقصد الأول: دراسة مبادئ علم السلوك

وهذا المقصد قائم على التعريف بعلم السلوك، وتبيين معالمه، وذكر آداب السالكين، وما يعين على اكتساب المعارف الأولية في هذا العلم.

وفيه كتب ورسائل منها:

١ : «مقدمات في علم السلوك»، وقد طبع في أول كتاب أعمال القلوب، ونشر مفرداً.

٢ : «عشريات ابن القيم» وفيها بين عشرة أسباب جالبة لمحبة الله تعالى، ومثلها أسباب معينة على الصبر عن المعصية، والصبر على البلاء، وفوائد





غضر البصر، وأسباب تخلف العمل عن العلم، وعشرة حجب بين العبد وربه، وعشرة أسباب لمغفرة الذنوب ومحو آثار السيئات، وعشرة أسباب لانشراح الصدر، وعشرة موارد للذكر في القرآن الكريم، وعشرة أقسام لمعاني ألفاظ القرآن الكريم، وعشرة أسباب لدفع شر الحاسد، وعشرة أسباب للعصمة من كيد الشيطان، وعشر مراتب للهداية.

وهذه جُمل من المعارف الأولية المهمّة لطالب علم السلوك.

٣: «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة» لابن سعدي، وعليها شروح عدة.

٤: «الرسالة التبوكية» لابن القيم، وتسمّى «زاد المهاجر إلى ربّه».

٥: مقدمة «الوابل الصيب» لابن القيم.

٦: «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» لابن القيم.

٧: «القصيدة الميمية» لابن القيم، وعليها شرح لابن عثيمين رحمه الله.

وهذه الكتب لو جعل طالب العلم لنفسه فيها ملخصاً جامعاً لأهم مسائلها أرجو أن يكون عدة نافعة له في مبادئ هذا العلم الشريف.

المقصد الثاني: دراسة أصول علم السلوك

والغرض منها التأصيل لمسائل علم السلوك، وطرق بحثها، وبيان المنهج الصحيح فيها، والتحذير من الأغلاط والانحرافات والبدع في



هذا العلم، ومعرفة أنواع المخالفات ومراتبها وأحكامها، والتمييز بين سبيل أهل العلم والإيمان وطرق أهل البدع والانحرافات ممن يتكلم في هذا العلم.

والأصل أن يبدأ طالب العلم في هذا المقصد بمختصر شامل ميسّر يُعنى فيه بالتحرير المؤصل والأمثلة والتطبيقات، لكنني لا أعلم في ذلك مؤلفاً مختصاً.

وفي هذا المقصد كتب ورسائل مهمة لشيخ الإسلام ابن تيمية ينبغي لطالب العلم أن يعتني بها عناية فائقة:

١: «رسالة العبودية»، وعليها شروح عدة، وهي من الرسائل التي ينبغي أن تدرس وتلخّص.

٢: «تزكية النفس»، وهي في المجلد العاشر من مجموع الفتاوى، وقد طبعت مفردة.

٣: «الفرق بين العبادات البدعية والعبادات الشرعية»، وهي في المجلد العاشر من الفتاوى.

٤: «التحفة العراقية في الأعمال القلبية»، وهو في المجلد العاشر من الفتاوى، وقد طبع مفرداً.

فهذه الكتب والرسائل فيها تقرير حسن لأصول مسائل السلوك؛ ومن درسها دراسة حسنة أرجو أن تتبيّن له أصول مسائل علم السلوك.





ومن أراد الاستزادة فليقرأ: «قاعدة في المحبة»، و«قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، و«قاعدة في المعجزات والكرامات»، و«الاستقامة»، وكلها لشيخ الإسلام ابن تيمية.

ولابن القيم رحمه الله ثلاثة كتب قيّمة في التأصيل لعلم السلوك:

الأول: «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، وأراد بالهجرتين: الهجرة إلى الله تعالى بالتوحيد والإخلاص والإنابة والتقرّب، والهجرة إلى رسوله صلى الله عليه وسلم بالاتباع والموالاة.

والثاني: «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، شرح فيه كتاب منازل السائرين لأبي إسماعيل الهروي شرحاً حسناً موسعاً، وتعقبه في كثير من المواضع وأجاد في ذلك.

و«مدارج السالكين» من أوسع كتب السلوك وأحسنها تحريراً.

والثالث: «مفتاح دار السعادة»، ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة.

لكن هذه الكتب فيها طول، وتوسع في مباحث كثيرة؛ فلو استُخلص منها ما يتعلّق بأصول علم السلوك لكان عملاً نافعاً يبني عليه طالب العلم في التأصيل لدراسة هذا العلم.

ومن أراد أن يقرأ مختصراً يشتمل على أهمّ المهمّ من هذه الكتب فليقرأ الباب الثاني من كتاب «أعمال القلوب» لي، وهو باب في أصول جامعة



لمسائل أعمال القلوب، وقد نشر مفرداً.

ففي مرحلة الابتداء يمكن أن يبدأ الطالب بهذا الباب، وإذا درسه على شيخ متقن فحسن، ثم في مرحلة التوسط يلخص هذه الكتب والرسائل.

ومما ينبغي أن يُتنبّه له أن علم السلوك له علوم ضابطة لا بدّ أن تُدرس معه، لذلك لا ينبغي لطالب العلم أن ينهمك في قراءة كتب السلوك، ويغفل عن التأسيس الجيّد في العلوم التي تضبط المنهج فيه، ومنها علم العقيدة، والتفسير وأصوله، والحديث، والآداب الشرعية.

فهذا العلوم إذا كان طالب العلم حسن التأصيل فيها كانت عصمة له بإذن الله من كثير من الأغلاط والانحرافات في علم السلوك.

ولا يشترط أن يتوسّع في هذا العلوم، وإنما يكفيه التأسيس الجيد فيها.

المقصد الثالث: دراسة مسائل أعمال القلوب

وقد كُتب في هذا المقصد كتب ورسائل مفردة منها:

١: «منظومة السير إلى الله والدار الآخرة» لابن سعدي.

٢: و«التحفة العراقية في الأعمال القلبية» لابن تيمية، وقد تقدم ذكره.

٣: ورسالتان قيمتان في أمراض القلوب وشفائها له أيضاً، وقد طبعتا في المجلد العاشر من الفتاوى.

٤: والنصف الأول من كتاب «إغاثة اللهفان» لابن القيم.





٥: و«اعتلال القلوب» للخرائطي.

٦: و«أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم» للدكتور سهل العتيبي.

٧: وكتاب «أعمال القلوب» للدكتور خالد السبت.

٨: وكتاب «قواعد أعمال القلوب» للدكتور عقيل الشمري.

٩: ولي كتاب «أعمال القلوب» مطبوع ومنشور على الشبكة.

المقصد الرابع: تزكية النفس

وفيه دراسة ما تحصل به تزكية النفس من تطهيرها من العلل والأدواء وصيانتها من الآفات المردية، وتغذيتها بالإيمان والأعمال الصالحة.

وقد كتب في هذا المقصد كتب ورسائل مهمة منها:

١: «تزكية النفس» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وقد تقدّم ذكرها، وفيها تأصيل حسن لمسائل تزكية النفس.

٢: و«أدب النفوس» للآجري.

٣: و«عيوب النفس»، لأبي عبد الرحمن السلمي.

٤: و«الأخلاق ومداواة النفوس»، لابن حزم.

٥: و«شعب الإيمان»، للبيهقي.

٦: و«زاد المعاد»، لابن القيم.



المقصد الخامس: الاستقامة وحفظ الجوارح

وله مساران:

أحدهما: التأصيل لمسائل الاستقامة، وبيان حقيقتها، ودراسة ما تتحقق به الاستقامة من غير غلوّ ولا جفاء، وفي كتاب الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية مباحث متعلق بهذا الغرض، وفي «روضة المحبين» لابن القيم فصول مهمة في ذلك.

والمسار الآخر: حفظ الجوارح وحراسة منفاذها، وبيان خطر المعاصي عليها، ومباحث ذلك مبثوثة في كتب السنة والسلوك، ومن ذلك:

١: «الصمت وآداب اللسان»، لابن أبي الدنيا.

٢: وحفظ اللسان في كتاب «شعب الإيمان» للبيهقي.

٣: وفصول من «الجواب الكافي» لابن القيم.

المقصد السادس: إحسان العبادات والمعاملات

وهو من أجلّ فروع علم السلوك، وفيه يُعنى بتعليم الإحسان في العبادات والمعاملات، وبيان ما يتحقق به الإحسان، وبيان علله ونواقضه.

والنصف الأول من كتاب «إحياء علوم الدين» هو في هذا المقصد، وفيه أبواب نافعة، مع التنبه لما ينبغي أن يتوقّى في كلامه، وما في كتابه من أحاديث واهية، وقد هذبه واختصره جمال الدين القاسمي في كتابه





«موعظة المؤمنين من كتاب إحياء علوم الدين».

ولابن القيم كتاب «الصلاة» وفيه شرح لطيف لما ينبغي أن يشهده المصلي بقلبه في الصلاة، وقد جمعتُ ما يتعلق بإحسان الصلاة من كتبه في الباب السابع عشر من كتاب «المرتبع الأسنى».

وفي شرح أبواب الإحسان من «دليل المعلّم لشرح ثلاثة الأصول» تأصيل وتبيين لما يكون به الإحسان في جُمل من العبادات والمعاملات.

ولعلي أفرد كتاباً في الإحسان إن أمدّ الله في العمر.

المقصد السابع: الترغيب والترهيب

الترغيب والترهيب وقود الرجاء والخوف، وحاجة النفس إليهما ماسة لا تنقضي، وقد كتب في هذا المقصد كتب منها:

- «الترغيب في فضائل الأعمال» لابن شاهين.
- و«الترغيب والترهيب» لأبي القاسم الأصفهاني، وقد رتّبه على حروف المعجم.
- و«الترغيب والترهيب» للمنذري، وهو كتاب حافل، وقد اختصره ابن حجر العسقلاني، ولبرهان الدين الشافعي تعقب عليه في رسالة سماها «عجالة الإملاء» وهي مطبوعة.
- وللألباني كتابا صحيح وضعيف الترغيب والترهيب.



ويدخل في هذا الكتب المؤلفة في الترغيب في الجنة والترهيب من النار، وهي كتب عدة منها:

- «صفة النار»، و«صفة الجنة»، و«الأهوال»، كلها لابن أبي الدنيا.
- و«ذكر النار»، للحافظ عبد الغني المقدسي.
- و«حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» لابن القيم.
- و«التخويف من النار»، لابن رجب.
- و«التذكرة في أحوال الموتى والآخرة» للقرطبي.
- وكتابا «الجنة» و«النار» للدكتور عمر الأشقر.

المقصد الثامن: فقه الابتلاء، وفقه الاستعاذة

فالسالك تعترضه عوارض، ويُبتلى بأعداء وآفات وابتلاءات لا ينفك عن الحاجة فيها إلى تحقيق الاستعاذة،

ومكامن الشرور والآفات عامّتها من الشيطان، والدنيا، والهوى، والنفس.

ولذلك كان من المطالب المهمة أن يتعلّم السالك فقه الابتلاء، وفقه الاستعاذة، وهما متلازمان:

- فالابتلاء له أسباب ومقاصد، وله آثار وعواقب، وله سنن وهدايات هدى الله المبتلى فيها؛ فمن اتبع هدى الله ضمن الله له الكفاية وحسن العاقبة.



- والاستعاذة حصن حصين من الفتن والابتلاءات وسبيل صحيح لتوقيها، والنجاة منها بعد وقوعها، وتكون الاستعاذة بالقلب واللسان والجوارح، وهي على مراتب: استعاذة باطلة، وناقصة، وصحيحة، وحسنة.

وقد كتبتُ رسالتين في هذا المقصد هما: فقه الابتلاء، وفقه الاستعاذة.

ولأهل العلم كلام مهم في هذا المقصد متفرق في جملة من الكتب، ومن أهمها:

١: «مكائد الشيطان» لابن أبي الدنيا.

٢: و«محاسبة النفس»، له أيضاً

٣: و«تلبيس إبليس»، لابن الجوزي.

٤: و«ذمّ الهوى»، له أيضاً

٥: و«عيوب النفس»، لأبي عبد الرحمن السلمي.

٦: والنصف الثاني من كتاب «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان»، لابن القيم.

المقصد التاسع: فقه الأدعية والأذكار والأوراد

مما ينبغي أن يُعنى به طالب العلم فقه الدعاء والأذكار والأوراد؛ فيحرص أن يكون دعاؤه صحيحاً حسناً، وأن يكون له ورد من القرآن،



وورد من السنة، ونوافل يواظب عليها بعد المحافظة على الفرائض، وأن يحافظ على أذكار الصباح والمساء والنوم، والأذكار ذوات الأسباب، إلى غير ذلك؛ فيحسن بطالب العلم أن يحفظ من تلك الأذكار ما يكون له عدة صالحة في تعبّده وتوقيه من الشرور والآفات بإذن الله.

ولو بدأ بحفظ ما يتيسر له من «حصن المسلم» أو ما يقوم مقامه من الكتب المختصرة في الأذكار فحسن، ثم يزداد اطلاعاً وفقها على ما يتعلق بهذا المقصد؛ فتكون دراسته لهذا المقصد على مسارين:

المسار الأول: فقه ما يتعلق بهذه المسائل، وأن يعرف ضوابطها وأحكامها والهدي الصحيح فيها.

- ولأبي سليمان الخطابي كتاب في «شأن الدعاء».
- ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة قيمة في شرح دعوة في النون.
- وللشيخ عبد الرزاق البدر كتاب في فقه الأدعية والأذكار.
- وقد كتبتُ رسالة مفردة في فقه الدعاء.

المسار الثاني: كتب الأدعية والأذكار، ومنها: كتب تضمنتها دواوين السنة في الأدعية والأذكار العامة وأذكار الصباح والمساء والنوم، ومنها كتب مفردة من أهمها:

- «عمل اليوم والليلة لابن السني، وأصله من كتاب «عمل اليوم والليلة لشيخه أبي عبد الرحمن النسائي في السنن الكبرى.



- و«النصيحة في الأدعية الصحيحة للحافظ عبد الغني المقدسي.
- وكتاب «الأذكار للنووي، وهو من أجمع هذه الكتب.
- ولابن رجب كتاب سماه «لطائف المعارف» في الوظائف الموسمية.
- ولابن الجوزي «تنبيه النائم الغمر في مواسم العمر»، وهو وإن لم يكن موضوعه في الأذكار إلا أنّ فيه تنبيهات حسنة لما تتطلبه كل مرحلة من مراحل العمر من الصبا حتى الهرم، وبينه بين هذه الكتب مناسبة.

المقصد العاشر: السير والوصايا والأخبار

سير العلماء الصالحين والعباد الزاهدين وأخبارهم ووصاياهم من أهم المطالب لطالب علم السلوك، وقد عني بها السلف عناية ظاهرة، وكُتبت فيه كتب جليلة منها:

١: كتاب «الزهد» للإمام أحمد، وقد رتّبه على أخبار الزهاد ووصاياهم.

٢: وكتاب «الزهد» من مصنف ابن أبي شيبة.

٣: و«حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني، مع التنبه لما فيه من غرائب وأخبار منكرة.

٤: و«صفة الصفوة» لابن الجوزي، وهو اختصار لكتاب أبي نعيم، وفيه من التنبيه مثل ما في أصله.



وقد كتبتُ كتاباً في سير السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، اجتهدت في جمع أخبارهم وآثارهم ووصاياهم.

المقصد الحادي عشر: أحوال السالكين

السالك تعترض أحوال كثيرة يحتاج إلى أن يكون على بصيرة منها حتى لا يقع في فتنة مضلة، أو عيّ مهلك، وحتى يُعصم من الغلو والتفريط.

والأحوال على قسمين:

١: أحوال غير اختيارية غالباً؛ كالأنس والوحشة، والشرَّة والفترة، والخِذلان والمخالفة، والعقوبة والابتلاء، والشهرة والخمول، وغيرها.

ويدخل في ذلك كثير من العوارض والعوائق التي يُبتلى بها السالك في سلوكه، والفرق بينهما أن العوارض تعرض للسالك بعد الشروع في العمل، والعوائق ما يحول بينه وبين العمل.

٢: وأحوال اختيارية؛ يختار فيها السالك ما هو أصلح له، لكن ينبغي له أن يتوقى ما يكون في اختياره من المحاذير، ومن ذلك: العزلة والخلطة، والعزيمة والرخصة، وتغليب الخوف أو الرجاء، وتذكر الذنوب أو تناسيها، وتطويل الصلاة أو تخفيفها، إلى غير ذلك مما تختلف فيه مذاهب السالكين واختياراتهم.





وهذه الأحوال وما جرى مجراها ينبغي للسالك أن يتعرّف الهدى فيها، وأن يفقه مسائلها، وما ورد فيها من أدلة الكتاب والسنة، وأن يكون على معرفة بآثار أهل العلم والإيمان وأخبارهم ووصاياهم فيها.

والكلام في كثير من هذه الأحوال متفرق في كتب السلوك المطولة، ومنها ما أفردت فيه مؤلفات؛ كالعزلة والانفراد لابن أبي الدنيا، والعزلة لأبي سليمان الخطابي، والتواضع والخمول لابن أبي الدنيا.

المقصد الثاني عشر: المعارف والحقائق والتأثيرات

وهذه أبواب ينبغي للسالك أن يكون على بصيرة بالهدى فيها حتى يُعصم من الغلو والتفريط، ويتجنب اتباع الخرافات وتلبيسات الشياطين، ويحذر من التكذيب بما هو حقّ من ذلك، وأن يعرف أحكام المخالفين ومراتبهم.

ومن ذلك ما كتب في أبواب الولاية والكرامة، والفراسة، والهواتف، والإلهام والتحديث، وتسليم الملائكة، ونحو ذلك.

والكلام في هذه الأبواب متفرق في كتب السلوك المطولة، وقد كتب في بعضها كتب مفردة من أهمها:

- «كرامات الأولياء» لأبي بكر الخلال.
- و«كرامات الأولياء» لأبي القاسم اللالكائي.



- و«الهواتف» لابن أبي الدنيا.
- و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، لابن تيمية.
- ولابن القيم كلام حسن في الفراسة لكنه متفرق في كتبه: «الروح»، و«الطرق الحكمية»، و«مفتاح دار السعادة»، و«بدائع الفوائد»، و«مدارج السالكين»؛ فلو جمع كلامه وصنف في كتاب واحد لكان حسناً.
- وله في الإلهام والتحديث كلام حسن في كتابه «مدارج السالكين».

المقصد الثالث عشر: مسائل الجزاء، والثواب والعقاب

والمراد الجزاء على الأعمال في الدنيا والآخرة، وفيه مباحث جليلة منها: ثواب الأعمال الصالحة، وعقوبات الأعمال السيئة، وأصول الحدود والتعزيرات، وأحكام الأعمال الباطنة، والهداية والإضلال، والتوفيق والخذلان، والعفو والمؤاخذة، وتضعيف الحسنات، وتعظيم السيئات، ومحبطات الأعمال، وأحكام الكبائر الظاهرة والباطنة، وأسباب اللعنة وآثارها، والكفارات ومحو السيئات، والاصطفاء من الأعمال، وغيرها.

وكثير من مسائل الجزاء مبثوثة في كتب السلوك المطولة، وكتب الاعتقاد، وكتب التفسير، وشروح الأحاديث.

ومن أهل العلم من يعدّ الجزاء علماً مستقلاً، فيقسّمون العلوم الشرعية إلى ثلاثة أقسام: عقيدة، وشريعة، وجزاء.





وقد أفرد في بعض هذه المباحث كتب منها:

- «العقوبات» لابن أبي الدنيا
- و«المرض والكفارات»، له أيضاً.
- و«الأمراض والكفارات»، لضياء الدين المقدسي.
- و«الحسنة والسيئة» لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولابن عثيمين شرح عليها.
- و«أسباب رفع العقوبة»، له أيضاً.
- و«مكفرات الذنوب» لشرف الدين الدمياطي.
- ولي فيه كتاب لم يتم سميته «الإجزاء في علم الجزاء»، وقد سُئلتُ عن مسائل كثيرة مما يتصل بهذا العلم، وقد انتقيت منها مسائل لمراجعتها وتهذيبها ونشرها في سلسلة «عيون مسائل الجزاء» إن شاء الله تعالى.

المقصد الرابع عشر: صيانة السلوك، والردّ على المخالفين

صيانة السلوك مطلب مهمّ، وهو من واجبات أهل هذا العلم العارفين به؛ إبراء للذمة، ونصحاً للأمة، وتحذيراً لطلاب العلم والعامة من دعاوى المخالفين في هذا العلم، حتى لا يغتروا بما يصوغون من زخرف القول، ويزينون من الدعاوى الباطلة والتضليلات الموهمة المردية.

وقد كتب في الردّ على المخالفين في السلوك كتب عدة وأكثرها له اتصال



بالعقيدة؛ فيذكر في كتب الاعتقاد أيضاً، ومن هذه الكتب:

١: «الرد على الشاذلي وما صنفه في حزبيه وآداب الطريق»، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٢: وكتاب «الاستغاثة في الرد على البكري»، له أيضاً.

٣: و«الردّ على الإخنائي»، له أيضاً.

٤: «الكلام على مسألة السماع»، لابن القيم.

٥: و«مصرع التصوف»، لبرهان الدين البقاعي.

٦: و«كشف الشبهات»، لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

٧: و«غاية الأماني في الرد على النبهاني»، لأبي المعالي محمود شكري الألوسي.

٨: وكتابا «التصوف المنشأ والمصادر» و«دراسات في التصوف» كلاهما للشيخ إحسان إلهي ظهير.

فهذه المقاصد أرجو أنها وافية بما يتعلق بدراسة علم السلوك مع عدم الغفلة عما كتبه المتقدمون في كتب الزهد والرقائق مما ضمن في دواوين السنة، ومنها:

- كتب الرقاق، والفتن، والدعوات في «صحيح البخاري».
- وكتب الزهد والرقائق، الذكر والدعاء، والتوبة، في «صحيح مسلم».
- وكتابا الدعاء والزهد في «سنن ابن ماجه».





- وكتب الزهد، والبر والصلة، والأمثال، والدعوات في «جامع الترمذي».
- وكتاب الاستعاذة، من «سنن النسائي الصغرى».
- وكتب الرقائق، والمواعظ، وعمل اليوم والليلة، والاستعاذة من «السنن الكبرى للنسائي».
- وكتب الزهد، والدعاء، والأمراء من «مصنف بن أبي شيبة».
- وكتاب الرقاق من «سنن الدارمي».
- وكتب الرقاق، والدعاء والذكر، والتوبة والإنابة من «مستدرك الحاكم».
- وكتابا البرّ والإحسان، والرقائق من «صحيح ابن حبان.

وقد أفرد جماعة من الأئمة كتباً في ذلك منها: كتاب «الزهد» لعبد الله بن المبارك، وللمعافى بن عمران الموصلي، ووكيع بن الجراح، وأسد بن موسى، وهناد بن السري، وأبي داوود السجستاني، والخطيب البغدادي.

ولأبي حاتم الرازي كتاب مطبوع في الزهد، وفي تحقيق نسبته إليه خلاف.

وأتى بعدهم أبو بكر البيهقي فجمع من ذلك علماً كثيراً في كتابيه «الزهد الكبير»، و«شعب الإيمان» وهما من أجمع كتب السلوك.



ثانياً: الجانب السلوكي التطبيقي

الجانب العلمي المعرفي لا يغني عن الجانب التطبيقي؛ فإنّ المعرفة النظرية لا تثبت إلا بالاتباع والموافقة.

وقد جعل الله لهذا الدين أئمة يخلف بعضهم بعضاً، ويأتسي بعضهم ببعض، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ [الفرقان: ٧٤]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، وقال: «خذوا عني مناسككم».

وهذا الاتساء له ضابط يضبطه، وهو ألا يخالف أمر الله تعالى ولا أمر رسوله صلى الله عليه وسلم.

وكثير من العبادات والمعاملات والمواقف من الفتن والابتلاءات يكون للتعلم والتبصر بالأسوة الصالحة فيها أثر كبير على القلب، تستنير به البصيرة، ويتبين به الهدى، وتسكن به النفس.

ولذلك كان أهل العلم والإيمان يأتم بعضهم ببعض، ويأتسي بعضهم ببعض من غير غلوّ ولا جفاء.

- قال سلمة بن شبيب: سمعت عبد الرزاق يقول: (أخذ أهل مكةَ الصلاةَ عن ابن جريج، وأخذها ابن جريج عن عطاء، وأخذها عطاء عن ابن الزبير، وأخذها ابن الزبير من أبي بكر الصديق، وأخذ أبو بكر الصديق، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأخذها النبي صلى الله عليه

وسلم عن جبريل عليه السلام).

قال عبد الرزاق: (وما رأيتُ أحداً أحسنَ صلاةً من ابن جريج، كان يصلي ونحن خارجين فنرى كأنه أسطوانة، وما التفت يميناً ولا شمالاً). رواه ابن عساكر.

- وقال أحمد بن يونس: حدثنا الزنجي بن خالد، عن عمرو بن دينار، قال: «ما رأيت مصلّيا أحسن صلاة من ابن الزّبير». رواه ابن أبي خيثمة.

- وقال سفيان بن عيينة: قلت لابن جريج: ما رأيت مصلياً مثلك!! قال: «فكيف لو رأيت عطاء». رواه ابن عساكر.

- وقال علي بن الجعد: أخبرنا شعبة، عن ثابت عن أبي رافع قال: قال أبو هريرة: «ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن أم سليم. يعني أنسا». ورواه ابن سعد والطبراني من طريق عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت به، ورواه الطبراني في الكبير من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري، عن شعبة، عن ثابت البناني، عن أبي رافع، عن أبي هريرة به.

وقال أنس بن سيرين: «كان أنس بن مالك أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر».

وكان السلف يلحظون صلاة المصلي من أهل العلم والعبادة فإذا أحسن الصلاة اقتدوا به في ذلك وربما سألوه عما ينتفعون به من ذلك:



- قال معاذ بن معاذ: حدثنا ابن عون قال: «رأيت مسلم بن يسار يصلي كأنه وتد لا يتروَّح على رجل مرة وعلى رجل مرة، ولا يحرك له ثوباً». رواه ابن سعد وابن أبي شيبة وابن عساكر.

- وقال المبارك بن فضالة: حدثني ميمون بن جابان قال: «ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتاً في صلاة قط خفيفة ولا طويلة».

قال: «ولقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدَّتها وإنه لفي المسجد في الصلاة فما التفت». رواه ابن المبارك في الزهد، وابن عساكر.

وكان سعيد بن عبد العزيز التنوخي كثير البكاء في صلاته فسئل عن ذلك.

- قال أحمد بن أبي الحواري: حدثني أبو عبد الرحمن الأسدي، قال: قلت لسعيد بن عبد العزيز: يا أبا محمد! ما هذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة؟

فقال: يا ابن أخي وما سؤالك عن ذلك؟

قلت: يا عم! لعل الله أن ينفعني.

فقال سعيد: «ما قمتُ في صلاتي إلا مثلت لي جهنم». رواه أبو نعيم في الحلية.

وما يقال في الصلاة يقال مثله في سائر الأبواب في العبادات والمعاملات والمواقف من الفتن والابتلاءات؛ فإذا أمكن طالب العلم أن يلازم إماماً



فقيهاً عابداً فذلك من أعظم الغنائم، وإن لم يتيسّر له؛ سأل عن أخباره ومواقفه من الفتن والابتلاءات وما يستعين به على إحسان العبادات والمعاملات.

- قال ابن وهب: (حدثني مالك أن محمد بن سيرين قد ثَقل وتخلَّف عن الحج، فكان يأمر من يحج أن ينظر إلى هدي القاسم ولَبوسه وناحيته؛ فيبلّغوه ذلك؛ فيقتدي بالقاسم). رواه الفسوي وابن عساكر.

يريد القاسم بن محمد بن أبي بكر رحمه الله.

- وقال سالم بن غيلان: اشتكى صحابة عمر بن عبد العزيز إلى عمر تفلت القرآن منهم، فقال: «اقرأوه في ممشاكم، وفي إقبالكم وإدباركم». رواه ابن وهب.

- وقال مالك بن مغول: سمعت أبا يحيى يقول: (شكوت إلى مجاهد الذنب قال: «أين أنتَ من الممحاة!!» يعني من الاستغفار). رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد.

- وقال علي بن خشرم: ما رأيت بيد وكيع كتابا قط، إنما هو حفظ، فسألته عن أدوية الحفظ، فقال: إن عَلَّمتُك الدواء استعملتَه؟

قلت: إي والله.

قال: «ترك المعاصي، ما جربت مثله للحفظ». رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق.



وكان أهل العلم يتعجبون من حفظه، وقد أتاه الشافعي ليصف له ما يقوي حفظه؛ فأوصاه بما كان يوصي به طلاب العلم من ترك المعاصي؛ فقال الشافعي في ذلك:

شكوتُ إلى وكيع سوءَ حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال: اعلم بأنَّ العلم نور ... ونور الله لا يعطى لعاصي

- وقال أحمد بن أبي الحواري: شكوتُ إلى أبي سليمان الداراني الوسواس؛ فقال: (إذا أردت أن ينقطع عنك؛ فأيَّ وقتٍ أحسستَ به فافرح، فإنَّك إذا فرحت به انقطع عنك؛ لأنه ليس شيء أبغض إلى الشيطان من سرور المؤمن، وإن اغتممت به زادك).

- وقال ابن القيم في حديثه عن شيخ ابن تيمية رحمهما الله في كتابه الوابل الصيب: (وعَلِمَ اللهُ ما رأيتُ أحدًا أطيبَ عيشًا منه قطّ، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضِدِّها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرِّهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتدَّ بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه، ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوةً ويقينًا وطمأنينةً).

